

فيشمل الفصل السابع عرضاً للجماعات الفدائية غير «فتح». فتلقي الضوء، بقدر من التفصيل، على الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والجبهة الديمقراطية، ومنظمة طلائع حرب التحرير الشعبية (الصاعقة)، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة. ثم تشير الى كل من جبهة التحرير العربية، وجبهة النضال الشعبي الفلسطيني، وجبهة التحرير الفلسطينية، وذلك تحت عنوان «جماعات أخرى». وتركز المؤلفة على المشكلات التي واجهتها «فتح» بسبب ارتباط بعض هذه المنظمات بنظم عربية وتبنيها لمواقفها السياسية.

وفي الفصل الثامن تنتقل الى ما تسميه «الحركة داخل فلسطين التاريخية»، فتشير الى ظروف الضفة الغربية التي تسلمها الاسرائيليون وشعبها المقموع بواسطة الحكم البوليسي الاردني. وتتابع تطور النضال الفلسطيني فيها، مع القاء الضوء على الجبهة الوطنية الفلسطينية التي تأسست العام ١٩٧٤ في الداخل، وعلى لجنة التوجيه الوطني التي أنشئت عقب كامب ديفيد. كما تشير الى ظروف النضال الفلسطيني في قطاع غزة الذي نشأ فيه عديد من قادة «فتح» وخاصة الذين كانوا مرتبطين باتحاد الطلاب الفلسطيني في القاهرة، في أوائل الخمسينات، مثل خليل الوزير وصالح خلف وكمال عدوان وسليم الزعنون. كما تعرض لتطور النضال الفلسطيني لعرب اسرائيل، أو «فلسطيني اسرائيل ١٩٤٨»، كما تسميهم، موضحة ابعاد مشكلتهم المتميزة نسبياً بحكم أسبقية خضوعهم للاحتلال الاسرائيلي، مما دفع الكثيرين للاعتقاد بانهم باتوا متعايشين، تماماً، مع هذا الاحتلال حتى جاءت احداث يوم الارض في ٣٠ آذار (مارس) ١٩٧٦ لتبدد هذا الاعتقاد.

ثم تنتقل الى الجزء الثالث المخصص للعلاقات الخارجية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وهو جزء محدود الصفحات كسابقه. ويتناول الفصل التاسع العلاقات العربية. ولأول مرة تتحرر الكاتبة من الطابع السردى وتنحو الى الاهتمام بالتحليل، ربما مضطرة بحكم حاجتها الى تفسير الارتباط الوثيق للقضية الفلسطينية ولنظمة التحرير بتطور الاحداث العربية، على الرغم من حرص قادة «فتح»، من البداية، على عدم تبني أية ايديولوجية عربية، وعلى رفض التدخل في الشؤون الداخلية للبلاد العربية مقابل التزام النظم الحاكمة فيها بعدم التدخل في مجريات النضال الفلسطيني. لكنها لا تقدم تفسيراً متماسكاً لهذه الظاهرة، لاقتناعها بالتفسيرات التقليدية الشائعة حول العلاقة العضوية بين القضية الفلسطينية والمناخ السياسي العام في العالم العربي، ورغبة النظم العربية في استخدام هذه القضية لدعم شرعيتها في الداخل، وارتباط بعض الفصائل الفلسطينية ببعض النظم العربية. كما تشير المؤلفة الى ما تسميه غلبة البراغماتية على العلاقات العربية والدولية لمنظمة التحرير الفلسطينية، دون ان تشعر بأن هذا الاستنتاج ذاته يتطلب تحليلاً وتفسيراً لدوافعه. ولو فعلت ذلك لربما توصلت الى أن هذه «البراغماتية» كانت نتاجاً لتدخل النظم العربية في شؤون منظمة التحرير الفلسطينية، ومحاولة بعضها توجيه القرار الفلسطيني لخدمة مصالح قطرية احياناً. أي ان هذه البراغماتية لم تكن هي صانعة الارتباط الذي تشير اليه بين القضية الفلسطينية وتطور الاحداث العربية.

وتنتهي المؤلفة الى خلاصة جعلت لها عنواناً صادقاً هو: «القوة التي لا تقاوم والهدف الذي لا يمكن زحزحته». واهم ما تخلص اليه هو ان اعادة بناء الهوية الفلسطينية هي الانجاز الاكبر الذي حققه النضال الفلسطيني. كما تخلص الى استنتاج هام يتعلق بالتركيب الاجتماعي لـ «فتح»، وهو ان قيادات الجيلين، الاول والثاني، فيها لم تنتم الى الاستقرارية الفلسطينية القديمة، وانما الى عائلات تجارية يغلب عليها نمط التجارة الصغيرة. كما تشير الى الدور المحوري للتعليم حيث حصلت كل قيادات «فتح»، ما عدا واحد فقط، على شهادات جامعية، كما أن معظم كوادرها جامعي، وكان ٩٩ من اصل ١٢٠ شهيداً فلسطينياً في معركة الكرامة جامعيين.

وتخلص المؤلفة، أيضاً، الى أن حركة التحرر الفلسطينية هي الاكثر صعوبة بين حركات التحرر العالمية، لأن حوالي ٤٠ بالمئة من شعبيها في المنفى، ولانها تفتقد الى القاعدة الخاصة بها. وترى أن التدخل العربي في شؤون الفلسطينيين، سواء أمباشراً كان أو من خلال بعض المنظمات الفلسطينية، لا حل له ما